ويرحلون تاركين خلفهم وطنا تضرجه الهزائم

إلى عبد الرحمن مينف الذي مات واقفاً ولم يقف ميتاً

. عـــامـــر الدبـك .

بِصمْتٍ يرحلونْ

يَحزِمونَ حقائبَ أحلامهمْ

تاركين أوراقَهم الأخيرةَ مبلَّلةً بالحِبْرِ والدَّمْعِ والدَّمْ

تاركينَ ضجيجَ الحروبِ... الهزائمَ.. الأوطانَ الملوَّثةَ بالشعاراتْ

تاركينَ مُدنًا تسقطُ كأيِّ شيءٍ يسقطُ وحيداً.

الزمنُ يغتالُهم واحداً واحداً

لا يتركُ أمامَهُم أيَّة فرصة لمراجعةِ أحلامِهم، أو لِمُراجَعَةِ كلماتٍ لم يكتبوها بعد

لا يترك لهم حتى هواءً يتنفّسونه غيرَ الغبار.

يرحلونَ

وهم يلوِّحونَ لِوَطَنٍ حزينٍ بأكبادهم التي احترقَتْ كفحمةٍ سوداء

يرحلونَ

لم يكن بوسعهم إلاّ أن يرحلوا

بعد أن رَحَلَ كلُّ شيء:

الوطنُ إلى الأعداء

الأعداءُ إلى الوطن

الحكامُ إلى عروشهم

الشعوبُ إلى معتقلاته

والجيلُ الصاعدُ إلى سقوطِه، أي الجيلُ الساقطُ يرحَلُ إلى ما يَهُمُّه غَيْر الوطن.

❖ ❖

كلُّ شيءٍ يَرْحل بصمتٍ إلى سقوطه: مدنٌ.. بلادٌ.. أوطانٌ.. رجالٌ.. أو أرجلٌ

الكلُ يرحل..

فلسطين إلى دولة لم تعلَنْ، دولةٍ بلا خارطة، خارطةٍ بلا طريق، طريقٍ بلا هدف، هدفٍ بلا جهة.. وبالتالي فلسطينُ ترحلُ فحسب.

العراق إلى نظامٍ جديد، النظامُ مِنْ صُنْعِ أميركا، أميركا تدفعها إسرائيل، العراقُ يرحل إلى إسرائيل.

العالمُ يَنْهار. تعدّدَت الأسبابُ والأشكالُ، والسقوطُ واحد.

الشعوبُ تجترُّ صمْتَها وموتَها..

والحكّامُ هم وحدَهم العالمونَ، القائمونَ، الآمرونَ، الناهونَ، الناطقونَ، العارفونَ، البائعونَ، المشترونَ، وأصحابُ الرأي السديد، والحكمةِ الخالدة.

الأوطانُ تُقدَّم قرباناً من أجل العرش

العرشُ للحاكم

الحاكمُ في الشرقِ الأوسط ـ

أو شرقِ المتوسط ـ لا يَعْرف حتى كيف يتمسَّكُ بالوطن

لأنّ الوطنَ شرفتُه عاليةٌ عليه

لذلك يتمسّك بالكرسي:

ينامُ عليها، يأكلُ ويشربُ عليها، يتزوَّجُ عليها، يتَّخذُ القراراتِ المصيريةَ عليها، يُفاوِضُ عليها، يُحارِبُ عليها، يُصالِحُ، يلْتَصِقُ بها، ويموتُ عليها.

❖ ❖

آهِ أيتها الغربة

آهِ أيُّها الوطن

أهِ أيَّتُها البلاد

يَرْحَلُ المبدعونَ لا أحَدَ يسمعُ بهم

الجميعُ منشغلونَ بأشياءَ فارغةٍ أكْثَرَ من الفراغ

إذا قلتُ لأحَدِهِم «رَحَلَ عبد الرّحمن منيف»

يقول لي لم أسْمع بهذا المطرب!

فأقول له بسخريةٍ هذا المطرب لم يصوّر فيديو كليب، لذلك لم ينَلْ شهرةً كأليسا أو نانسي عجرم أو..

فيضحكُ ويكمِّلُ لائحةً بأسماءِ مئاتِ المطرباتِ اللاتي يستمعُ إليهن ويعرِفُ آخرَ أخبارِهن

وأنا أكاد أبكي وأصرخ!

لماذا يعيش المبدعون غرباء

ويرحلونَ غُرباء؟

آهِ أيتُّها الغربة

رحلتَ يا أبا العوف

ومازال شرقُ المتوسط مرةً أُخرى وأُخرى وأُخرى والآن وَهُنا وهناك

رَحَلْتَ ومازالوا يَغْتالون مرزوقَ والأشجارَ والوطن

رحلتَ وأرضُ السوادِ ازدادتْ سواداً حتى أصبحتْ عُنوانَ الحداد

رَحَلْتَ يا أبا العوفِ صامتًا

والجميعُ يرتدونَ أكفانَهُم التي يخالونها رايات السلام.

رحلتَ إلى خلودك بعد أنْ رحل كلٌّ إلى سقوطه.

آه يا مُدُنَ المِلح.. يا مُدُنَ الوَهْمِ.. يا مُدُنَ الكلام

رَحَلْتَ

وتَرَكْتَ لنا الجراح

تَرَكْتَ لنا كلَّ ما يطفِئُ الروح

فَهَلْ سنختارُ الرحيلُ بعدك؟

حلب